النّقد الاجتماعيّ في الشّعرْ الشّامي

في عَصْر الحروب الصَليبيّة

الدّكور شفيق محمد الرقب

غذّت الشّعرَ الشّاميّ في عصر الحروب الصليبيّة مجموعةٌ من الرّوافد الشّعبيّة الّتي قوّت صلة هذا الشِّعر بالحياة العامّة، واتّجهت به نحو تصوير مظاهر الحياة الاجتماعيّة لجمهرة الشّعب؛ ولعلّ أقوى هذه الرّوافد كثرة الشّعراء الّذين كانوا من عامّة النّاس، مثل: ابن منير الطرابلسيّ (ت٥٤٨هـ)، وفتيان الشّاغوريّ (ت٦١٥هـ)، وابن عنين (ت٦٣٠هـ)، والمسجَّف العسقلانيّ (ت٦٣٥هـ)، وأبي جلنك الحلبيّ (ت ٧٠٠هـ)، وعين بصل (ت٧٠٩هـ)[1].

وقد نقل لنا هؤلاء الشعراء وغيرهم نبضَ المجتمع الشاميّ في عصر الحروب الصّليبيّة بما تلاحق عليه من تغيّرات اجتماعيّة، وما ألمّ به من تقلّبات سياسيّة، وما اعتراه من أوبئة وكوارث طبيعيّة. كما تناولوا بالنّقد اللاذع مظاهر الفساد الإداريّ والاجتماعيّ، وكأنّهم كانوا يريدون أن يبصّروا النّاس بها، ويحثّوا أولي الأمر على تخليصهم منها.

وسَتُدْرَسُ في هذا البحث ظاهرةُ النّقد الاجتماعيّ، وهي ظاهرة شاعت في الشّعر الشّاميّ زمن الحروب الصليبيّة على نحو يسترعي النّظر، لعدّة أسباب من أهمّها: التفاوت الكبير بين فئات المجتمع في مستوى المعيشة؛ فعلى الرّغم من الإصلاحات الاجتماعيّة الواسعة الّتي أجراها الزّنكيّون ثمّ الأيّوبيّون، فإنّ النّهج الإقطاعيّ الّذي ساروا عليه قد

عمّق الهوّة بين العامّة وأرباب الإقطاع؛ إذ يُستفَادُ من أخبار كثيرة أنّ عامّة الشّعب كانت تعاني من الإقلال وشظف العيش، وأنّه كان عليها أن تعمل في المهن اليدويّة في المدن، أو في الفلاحة لدى المقطعين من الأمراء وغيرهم[٢]. وقد كانت تُفرض على هذه الفئات، على فقرها، الضرائبُ الّتي تستصفي ما لديها من أموال وزروع هي بحاجة ماسّة لها، لكي تُقيم أَوَد عيشها.

ومن الأسباب الّتي استدعت القول في النّقد الاجتماعيّ جَورُ بعض الحكّام من السّلاطين والأمراء والوزراء والعمّال، وقد ذكرت المصادر صوراً مختلفة لتعدّيات هؤلاء الحكّام على الرّعيّة[٣]، وأوردت ضروباً متعدّدة من العقوبات الّتي كان يلحقها بعضهم بالنّاس، مثل الصَّلب والتّسمير. وقد نقل أبو شامة المقدسيّ في كتابه (الذّيل على الرّوضتين) صورة مؤثّرة لغلام قتله أحد الأمراء لـ"أنّه دافع عن نفسه أمراً لم يرض وقوعه به"[٤]، وأتبَعَ أبو شامة الخبر بقصيدة لأحد الشعراء رثى فيها هذا الغلام، وأَسي لمصيره الفاجع.

ومن هذه الأسباب الفسادُ الإداريّ الّذي أخذ يستشري في أوصال الدّولة الأيوبيّة بعد وفاة صلاح الدّين، ولا سيّما أنّ بعض الوزراء قد انتهز فرصة الصّراع بين ورثة الملك النّاصر، ليعسف بالرّعيّة، ويحقّق بعض المكاسب الخاصّة؛ فقد ذُكر أنّ الوزير صفيّ الدّين بن شكر[٥] كان "إذ لاح له مال عظيم احتجنه .. وكان له في كلّ بلد من بلاد السلطان ضيعة أو أكثر"[٦]. وقد امتدّ هذا الفساد إلى عدد من القضاة الّذين كانوا يظلمون في أحكامهم، ويستغلّون نفوذهم لِجَرِّ الدّنيا إليهم، كما سيتبيّن لنا من الحديث عن نقد القضاة.

غير أنه ينبغي ألاّ تعمّم الأحكام المستوحاة من الأسطر السّابقة والأشعار اللاحقة على العصر كلّه، لأنّ ذلك مخالف للواقع ولحقائق

التّاريخ، فهو كغيره من العصور فيه الخير والشرّ، ومن ثمّ فإنّ هذا البحث إنّما يعرض لجانب واحد، ليس غير، من جوانب الحياة آنذاك، وهو الجانب الّذي يتّصل بما كان النّاس يتذمّرون منه ويشكونه.

وقد تنوّعت أساليب الشّعراء في النّقد والإصلاح، فمنهم من آثر أسلوب النّصح والوعظ مستوحياً تعاليم الإسلام الّتي تحثّ الحكّام على الأخذ بدستور الشريعة في الحكم، ومنهم من كان يرفع شعره لأولي الأمر متظلّماً ومستعدياً على العمّال الجائرين، ومنهم من أضفى على نقده طابع التندّر والهزل راسماً للمهجوّ صورة ساخرة تستثير الضّحك، ومنهم من استحال النّقدُ لديه سباباً يداخله غير قليل من الكلمات الجارحة.

وقد تعدّدت الظواهر الّتي نقدها الشّعراء، ومن أهمّها: الحُكم، والقضاء، والكسب غير المشروع، وانهيار القيم.

أوّلاً – الحُكْم:

كان صوتُ النّقد الموجّه إلى الحكّام في الشّعر الشّاميّ في عصر الحروب الصّليبيّة جهيراً، ولم يكن هذا النّقد مجرّد حسراتٍ مبهمة على سوء الأحوال السّياسيّة والاجتماعيّة، وإنّما كان نقداً صريحاً يشخّص الشّعراء فيه الدّاء، ويبيّنون أسبابه، ويدعون الى معالجته، ويحذّرون من عواقب استفحاله، وربّما وجدت دعواتهم تلك آذاناً صاغية، فيستجيب الحكّام لها؛ من ذلك ما أورده أبو شامة في كتابه **(الرّوضتين)** من أنّ أبا عثمان المنتجب بن أبي محمّد الواسطيّ[٧] أنشدَ نورَ الدّين، وقد وفد عليه واعظاً، قصيدة حثّه فيها على إبطال المظالم من دولته، وإسقاط ما يدخل منها في شبهة الحرام، وممّا ورد في القصيدة[٨]:

مَثِّــلْ وقوفَــكَ أَيُّهــا المغــرورُ يــومَ القيامــةِ والسَّــماءُ تمــورُ
إنْ قيـل نـور الـدّين رُحْـتَ مسلّمَـاً فاحـذرْ بـأن تَبْقَـىَ ومـا لـكَ نـورُ
أنَهَيْتَ عن شُربِ الخمورِ، وأنت مِنْ كــأسِ المظــالمِ طــافحٌ مخمــورُ
عطَّلْــتَ كاســات المــدام تعفّفــاً وعليــك كاســاتُ الحــرامِ تــدورُ
مــاذا تقـول إذا نُقلـتَ إلـى البلـى فــرداً، وجــاءك مُنكَــرٌ ونكيــرُ؟!
وتعلّقـتْ فيـك الخُصُـوم وأنـت فـي يــوم الحســاب مُســحَّبٌ مجــرورُ

ويمضي الفقيه الزّاهد في قصيدته على هذا النّحو الوعظيّ، بأسلوب سهل لا يخلو من ألفاظ أُغْلِظ فيها للملك العادل نور الدّين. وقد علّق أبو شامة على القصيدة قائلاً: "ولعلّ هذه الأبيات كانت من أقوى الأسباب المحرّكة إلى إبطال تلك المظالم، والخلاص من تلك المآثم"(٩).

وتجد مثل هذا الأسلوب الوعظيّ الذي ينقد الأوضاع ويدعو الى الإصلاح عن طريق استثارة المشاعر الإسلاميّة والتخويف من عذاب الله، لدى أبي الحسن ابن زيد الشّيزريّ في قصيدة أرسلها إلى الوزير مجد الدّين بن الدّاية(١٠)، ولدى الفقيه شمس الدّين المقدسيّ(١١) في قصيدة أرسلها الى الملك الصّالح إسماعيل يحذّره فيها من عاقبة الظّلم، ويشكو له فساد حاشيته، ويذكرهم له واحداً واحداً، مبيّناً أنّهم قد ظلموا النّاس، ونشروا الآفات، وعطّلوا أحكام الشّرع، ولم يعد لهم همٌّ إلاّ كسب الأموال بأيّ وسيلة كانت. يقول(١٢):

يا مالكاً لم أجْد لي من نصيحته بـدّاً، وفيهـا دمـي أخشـاه منسـفكا
اسْـمَعْ نصـيحةَ مَـنْ أوليتَـه نعمـاً يخـاف كفرانَهـا إن كـفّ أو تركـا
واللــه لا امتــدّ ملــك مــدّ مالكُــه علــى رعيّتــهِ مــن ظُلمِــهِ شَــبَكا
تـرى الحسـودَ بـه مستبشـراً فرحـاً مسـتغرباً مـن بـوادي أمـرهِ ضَـحكا
وزيــرُه ابــن غــزالٍ والرّفيــعُ لــهُ قاضي القضاةِ ووالي حربه ابن بكا

وثعلبٌ وَفُضَيْلٌ من هما، وهما أهل المشورة فيما ضاق أو ضنكا
جماعةٌ بهمُ الآفاتُ قد نُشرت والشّرع قد مات والإسلام قد هلكا

ما راقبوا الله في سرٍّ وفي علنٍ وإنّما يرقبون النّجم والفلكا
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم أوكان شرّاً وأمراً سيّئاً فَلَكا

وأضفى شعراء آخرون على نقدهم مشاعر الاستهجان والدهشة من مواقف بعض الحكّام الّتي تخالف المعهود في سياسة الدّولة الإسلامية، ومازج هذا الاستهجان غيرُ قليل من الشعور بالنقمة؛ فقد استغرب فتيانُ الشاغوري أن يقوى نفوذ اليهود في دولة الملك الأمجد بهرام شاه، وأنكر عليه استيزاره لمهذّب الدّين السّامريّ[١٣] الّذي أكثر من استخدام أقاربه من السمرة، فـ"كثر منهم العسف وأكل الأموال والفساد"[١٤]، ودعاه إلى الفتك بهم كما فتك هارون الرشيد بالبرامكة من قبل. يقول[١٥]:

الملك الأمجدُ الذي شهدت له ملوك الزّمان بالفضلِ
أصبح في السّامريّ معتقداً ما اعتقدَ السّامريّ في العجلِ
والسّامريّون كالبرامك مِنْ قبلُ، فأين الرّشيدُ للقَتْلِ؟!

ورفع بعض الشعراء أشعارهم إلى الملوك والسلاطين يتظلّمون فيها من عمّالهم الجائرين، ويستنصرونهم عليهم، ويحمّلونهم المسؤولية معهم إن لم يخلّصوهم منهم، فعندما ولّى أسدُ الدّين شيركوه[١٦] يوسفَ بن الملّاح الحلبي[١٧] وآخر معه من بعض الضّياع الرّحبة ساءت سيرتهما فيها؛ فكتب إليه ابن النّقاش الحلبيّ[١٨] أبياتاً صوّر فيها تبرّم النّاس بهذين الرّجلين، ونقمتهم عليهما، حتى

أوشكت هذه النّقمة أن تطال أسدَ الدين نفسه. يقول[١٩]:

كـم لـك فـي الرّحبـة مـن لائـم يـا أسـدَ الـدينِ ومِـن لاحِ
دمّرتَهـا مـن حيـثُ دَبَّرتهـا بـرأي فـلّاحٍ ومـلّاحِ

ويُلح عليه في بيتين آخرين بأن يخلّص أهل الرّحبة من جور يوسف بن الملّاح. يقول[٢٠]:

يـا أسـدَ الـدّين اغتـنمْ أجْرَنـا وخلّـص الرّحبـة مـن يوسـف
تغـزو إلـى الكفـر، وتغـزو بـه الـ إسـلام، مـا ذاك بهـذا يفـي

وفي سنة ٥٧٢هـ قدم أبو حسّان المعرّي[٢١] إلى السلطان صلاح الدّين في حماة، وأنشده قصيدة تظلّم فيها من والي تدمر الّذي أساء إليه، واستصفى أمواله، وممّا ورد فيها قوله[٢٢]:

أسلطان أرضِ اللـه الطَّوْلِ والقَهْرِ حليـفَ المعـالي والمناقـب والفخـرِ
أفـي عَدْلك المبسوطِ، والشّرع حاكمٌ بمُلكـيَ أُقصـى عنـه بالـدفع والزَّجْرِ
وَيُطلـبُ منّـي فَـوْقَ مـا اسـتطيعهُ علـى فاقـة مـن ضـيقة اليدِ والعُسْرِ
ألـمْ تُـرْعِ للشّهـر المعظّـم حرمـةٌ ولا لكتـاب اللـه أتلـوه فـي صـدري؟!

ونزع بعض الشعراء في تعريضهم بالحكّام إلى تشويه صورة المهجوّ ونعته بكلّ قبيح منفّر. من ذلك قول محمد بن سوّار بن إسرائيل[٢٣] يصف أحد المتولّين الجائرين، جاعلاً إيّاه شؤماً على الرّعيّة، ومصوّراً المفارقة الأخلاقيّة في سلوكه، وانعكاس الأحوال في عهده[٢٤]:

يـا فاضـح الـدّين والـدّنيا بسـيرته وقـامع العـدل والإحسـان والجـودِ
قد ضاق ظاهر ما في الأرض منك فما ببـاطن الأرض ميْـتٌ غيـر محسـودِ

خفِّضْ عليك فإنّ الناس قد أيسوا من خضرة العيشِ في أيّامك السّودِ

وإمعاناً في الانتقاص من قدر الحكّام، أكثر الشّعراء من استخدام صور الحيوانات والحشرات، ومقارنة المهجوّ بها، كما في قول الشاعر المعروف بالبديع الدّمشقيّ[٢٥]، يصف أحد الحكّام بالبهيمة، فكانت النتيجة أن سُجنَ الشاعر[٢٦]:

حَـــــــاكمُكمْ بهيمـــــــــةٌ ليســـــتْ تســـــاوي العلفـــــا
ولـــــيس فيـــــه مضـــــغةٌ طيّبـــــــــةٌ إلاّ القَفـــــــــا

وقد صاغ شعراء آخرون نقدهم للحكّام بأسلوب هزليّ تتبدّى فيه روح السّخرية بقوّة، ولعلّ أشهر أولئك الشاعر الدمشقيّ ابن عنين، الّذي ثابر على هجاء الحكّام في عصره، حتّى اقتحم بأهاجيه غضبهم وإحن صدورهم. ويُسْتَشفّ من هذا الهجاء أنّ ابن عنين كان ذا نفسٍ ثائرة قلقة متوثّبة، لا ترضى على أيّة حال، وأنّه كان مطبوعاً على ذمّ الناس وثلبهم، وعزّز هذا الطّبعَ أنّه رأى عيوبَ النّاس في عصره أكثر من محاسنهم، فآثر ألاّ يأوي إليهم، ولا يكفّ عن ذمّهم. لذا فإنّ من يقرأ هذا الهجاء يشعر أنّه يعبّر عن تجربة إنسانيّة عميقة فيها قدر طاغ من حدّة الإحساس وقوّة الشّعور، كما يستبين له شاعرٌ بارعٌ قادرٌ على التصرّف في معاني النّقد وفنون الهجو. فها هو ذا يتقوّل على دولة صلاح الدّين، مستغلاً العيوب الجسديّة لمهجوّيه، ومبرزاً إيّاها إبرازاً مضحكاً، ومصوّراً أخلاقهم وضعف نفوسهم تصويراً هزليّاً، حتّى بدت هذه الدّولة وكأنّها لا تضمّ إلاّ كلّ ذي عاهة ومفسدة. يقول[٢٧]:

ســـــلطانُنا أعـــــرجٌ وكاتبُـــــهُ ذو عمـــــشٍ والـــــوزيرُ منحـــــدِبُ
وصـــاحبُ الأمـــرِ خلقُـــهُ شَـــرِسٌ وعـــارضُ الجـــيش داؤه عَجَـــبُ
والـــدَّوْلَعيُّ الخطيـــبُ معتكـــفٌ وهـــو علـــى قشـــرِ بيضـــةٍ يَثِـــبُ
ولابـــن ياقـــا وعـــظٌ يَغـــرُّ بِـــهِ النّـــا (م) س وعبـــــدُاللطيف مُحتسِـــــبُ

عُيــوبُ قــومٍ لــو أنَّهــا جُمِعَــتْ فــي فَلَــكٍ مــا سَــرَتْ بــهِ شُــهُبُ

وقد لج ابن عنين في نقد دولة الملك الناصر صلاح الدّين، فنفاه من دمشق، فهتف في وجهه قائلاً[٢٨]:

فعــــلامَ أبعــــدتُمْ أخــــا ثقــــةٍ لــــم يجتــــرمْ ذنبــــاً ولا ســــرَقا
انفــــوا المــــؤذّن مــــن بلادكــــمُ إن كــــان يُنفَــــى كــــلُّ مَــــنْ صَــــدَقا

وينساق ابن عنين وراء طبيعته العدوانيّة الهجّاءة في حملته على دولة صلاح الدّين، حتّى ليشذّ في بعض أشعاره عن مشارع الأمّة الإسلامية تجاه الغزو الصليبيّ؛ يقول[٢٩]:

لا كــــــانَ يــــــومٌ بُــــــدّلت فيــــــه الكنــــــائسُ بالمســــــاجدْ
لا تفرحــــــــــوا بفتوحِكــــــــــمْ هــــــذا فــــــإنّ الدّهــــــرَ راقِــــــدْ

وعندما أذن له الملك العادل بالعودة إلى دمشق، عاد إليها قوْيّ النَّفس، وهو يُنشِد[٣٠]:

هجــــوتُ الأكــــابرَ فــــي جلّــــق ورُعــــتُ الوضــــيع بهجــــو الرّفيــــعِ
وأخــــــرجتُ منهــــــا ولكنّنــــــي رجعــــتُ علــــى رغــــم أنْــــفِ الجميــــعِ

وواصل ابن عنين بعد أن رجع من منفاه توجيه النّقد اللاّذع للدّولة الأيوّبيّة، من ذلك البيتان التاليان اللذان يشجب فيهما دولة الملك العادل، متّكئاً على المفارقة الّتي تؤكّد الذمّ بما يشبه المدح[٣١]:

إنّ ســــلطاننا الّــــذي نرتجيــــه واســــعُ المــــالِ ضــــيّقُ الآفــــاقِ
هــــو سيــــفٌ كمــــا يُقــــال ولكــــن قاطــــعٌ للرّســــوم والأعنــــاقِ

ويستخدم ابن عنين التورية ببراعة في نقده للأوضاع في مدينة دمشق، وما آل إليه النّاس من حيرة واضطراب، وذلك بعد أن أخذ الملكُ الكاملُ محمّدٌ المدينةَ من الملك المعظّم عيسى، وأعطاها الملكَ الأشرفَ موسى. يقول[٣٢]:

وكنّا نُرَجّي بعد عيسى محمّداً ... ليُنقذَنا من لاعج الضرّ والبلوى
فأوقعنا في تيه موسى فكلّنا ... حيارى ولا منّ لديه ولا سلوى

ثانياً – القضاء:

تولّى القضاءَ في بلاد الشّام في عصر الحروب الصليبيّة عدد من القضاة الّذين نوّهت المصادر بعدلهم، مثل القضاة الشّهرزوريّين، والقاضي محيي الدّين بن زكيّ الدّين .. غير أنّ هذا الحُكم لا ينسحب على القضاة جميعاً، إذ وُجد بعض القضاة الّذين انحرفوا عن الجادّة، وظلموا النّاس. وقد تردّدت أصداء ذلك في الشّعر الشّاميّ على نحو واضح، فقد تذمّر أبو المجد المعرّيّ[٣٣] من ظلم بعض القضاة في عصره، وعسفهم بالرّعيّة، حتّى غدوا وكأنّهم بلاء منزل بهم، أو نقمة مسلّطة عليهم. يقول[٣٤]:

تولّى الحكم بين الناس قوم ... بهم نزل البلاء من السّماءِ
كأنّهم الذّئاب إذا تعاوت ... سواغبها على آثار شاءِ
يقول القائلون إذا رأوهم: ... لقد جار القضاءُ على القضاءِ

وأنفذ ابن المهنّا إلى قاضي حلب أبياتاً يشكو فيها نائبه وكاتبه، ويدعوه إلى إقالتهما، وتخليص الرّعيّة منهما، بعد أن كثر منهما الفساد. يقول[٣٥]:

لا عجبٌ أن خرب الشامُ أو ... أقوت مغانيهِ ولا غروْ
قد أصبح المجدُ به حاكماً ... وأصبح المنشي لهُ صنوْ

مــولاي، محيــي الــدّين، غيّرْهمــا عنّـــــا فتحـــــوي شـــــكرنا أوْ

وكان القاضي الأعزّ أبو الفتح محمّد بن عبدالله الميميّ[٣٦]، قاضي صور، يجعل على رأسه عمامة عليها رسوم وتصاوير مختلفة، فاتّخذ ابن منير الطرابلسيّ من ذلك مادّة للتندّر به والسخرية منه، مصوّراً ضآلة عقل هذا القاضي، وولعه بالمدح، وكيف أنّ الناس كانوا ينصبون عليه بالمدح الكاذب ليحظوا عنده، ويخلص ابن منير من ذلك إلى تصوير بطلان أحكام هذا القاضي وعدم صلاحيّته لمنصب القضاء. يقول[٣٧]:

مكّــن اللــه درّتــي مــن أعــالي ســفلٍ يــدّعون فيــه الإمامــهْ
كــــلّ فَسْـــلٍ إذا رآه تـــردّى خاضـــعاً راكعـــاً ذلـــيلاً أمامـــهْ
قــائلاً يــا عَـذيرَ حــاتمٍ الطّــا ئـيّ فـي ما يـولي وكعـب بـن مامـهْ
يـا ملـيح الشّـباب يـا أنضـر النّـا سِ، ويـــا أحســـنَ البريّـــةِ قامـــهْ
كلُّ هـذا نَصـبٌ علـى الخَـرِب البيـ ـــتِ ليفنـــوا خلقانَـــه وطَعامـــهْ
وهــو إذْ ذاك لا يريــد ســوى تيــ ـــهٍ علـــيهمْ وســـطوةٍ وعرامـــهْ

وقد توالى على منصب قاضي القضاة في دمشق في النّصف الثّاني من القرن السابع الهجريّ عدَدٌ من القضاة الّذين لم يتحرّوا العدل في أحكامهم، ومن هؤلاء أحمدُ بن هبة الله الملقّب بالصّدر بن سنيّ الدّولة، الّذي "كان مراعياً لأرباب الجاهات كثيراً"[٣٨]، فاستشهد النّجيب بن الشقيشقة "لأجل جاه كان النّجيبُ متّصلاً به، وميّزه بأن جعله عاقداً للأنكحة بباب جامع دمشق، فعجب النّاس منه وأنكروا ما فعله"، لأنّ النّجيب "كان مشهوراً بالكذب ورقّة الدّين وغير ذلك"[٣٩]. وقد قال أحد الشّعراء الشّاميّين ثلاثة أبيات أنكر فيها بشدّة على القاضي الصّدر بن سنيّ الدّولة أن يولّي رجلاً موصوفاً بانحلال العقيدة والجهل بأحكام الشّرع عَقْدَ الأنكحة للمسلمين، والأبيات هي[٤٠]:

جَلـس الشُقيشـقةُ الشـقيّ ليشـهدا بأبيكمـا مـاذا عـدا ممّـا بـدا
هـل زُلـزل الزّلـزال أم قـد أُخـرج الـ ـدّجال أم عُـدِمَ الرّجـال ذوو الهـدى
عجبـاً لمحلـول العقيـدة جاهـلٍ بالشّـرع قـد أذنـوا لـه أن يَعْقِـدا

وذكر أبو شامة المقدسيّ في كتابه (الذّيل على الرّوضتين) أنّه تولّى القضاء في زمانه ثلاثة مشهورون بالفسق والظلم، هم: النّجم بن الصّدر سنيّ الدّولة، وكان "حاكماً جائراً ظالماً متعدّياً"[٤١]؛ وابن الجمال المصريّ الّذي "لم تكن طريقته مستقيمة"[٤٢]؛ والرّفيع الجيليّ الّذي "فعل بالنّاس الأفاعيل"[٤٣]، وقد قال أبو شامة ثلاثة أبيات حصر فيها هؤلاء القضاة ونوّابهم، مصوّراً فظاظتهم، واستشراء شرّهم، وابتلاء النّاس بهم[٤٤]:

دمشق في عصرنا مع فضلها بُليتْ من القضاة بجهّالٍ وأوقاحِ
بأعجمين ومصريّ وصائغهم والأربليّ خيّاطٍ وفلّاحِ
ثم ضعف ستة والنوّاب كلّهم ضعفان أحزانهم أضعاف أفراح

ولمّا كثر تعدّي النّجم بن الصّدر بن سنيّ الدّولة عُزِلَ، وَأُرسل إلى مصر، وقد صوّر أبو شامة المقدسيّ ردود الفعل الشعبيّة بعد أن سَمع النّاس بعزل القاضي ومغادرته دمشق، فقال: "ثمّ سافر الحاكم المعزول إلى مصر تحت الحوطة .. والدّعاء عليه كثير، والتّظلُّم منه شائع، والدّعاوى عليه كثيرة"[٤٥]، وقد قال العماد داود بن الحمويّ[٤٦] في هذه المناسبة قصيدة تمثّل فيها مشاعر الدمشقيّين الغاضبة إزاء هذا القاضي المخلوع، الّذي فتق الشّرع، واحتال على الخلق، وبدّد الأموال، مصوّراً شماتة النّاس به، وكراهيّتهم له، وتفنّنهم في ذمّه، وممّا ورد فيها[٤٧]:

نجـمٌ أتـاه ضـياءُ الشـمسِ فاحترقـا وراحَ فـي لُجَـجِ الإدبـارِ قـد غَرِقـا
ناحَـتْ عليـه الليـالي وهـي شـامتة وعرّفتـهُ صـروف الـدّهر مـا اختلقـا
وحدّثتـه الأمـاني وَهـي كاذبـةٌ بأنّـه لا يَـرى بَعْـد النّعـيم شَـقا

وجــادَ بالمــالِ كــي تبقــى رئاستُــه وفتّــق الشّــرع والتّقــوى ومــا رتقــا

* * *

وألقيـتْ فـي قلـوب النـاسِ بغضـتُه لكـنّهمْ قـد غَـدوا فـي ذمّـةِ فِرَقـا
ففرقَـــةٌ بقبـــيح الظّلـــم تَـــذكرهُ وفرقــةٌ حلفــت باللــه قــد فَســقا
وفرقـــةٌ سلبتـــه ثـــوبَ عصمتِـــه بأنّـــه مـــن ربـــاطِ الـــدّين قـــد مَرَقـــا

وزاد أبو شامة من قوله:

وفرقـــةٌ وَصَفَتْـــهُ بالخلاعـــة مَـــعْ خُبـــثٍ وكبْـــرٍ وكـــلٌّ منهـــمُ صَدَقـــا

وفي سنة ٦٦٣هـ اجتمع على ولاية القضاء بدمشق، وفي زمن واحد، أربعة قضاة، وجُعل كلّ واحد منهم قاضي القضاة لأحد المذاهب الأربعة، وقد استهجن أبو شامة المقدسيّ ذلك قائلاً: "وهذا شيء ما أظنّه جرى في زمان سابق"[٤٨]، وكان لقب ثلاثة من القضاة شمس الدّين، واتّفق أنّ رابعهم، وهو الشّافعيّ، استناب من لقبه شمس الدّين، فاتّخذ الشّعراء من ذلك مناسبة للتندّر والسخرية، كما في قول أحد الظرفاء[٤٩]:

أهـــــلُ دمشـــــق اســـــترابوا مـــــنْ كثْـــــرةِ الحكّـــــامِ
وَهُـــــمْ جميعـــــاً شمـــــوسٌ وحالهـــــمْ فـــــي ظـــــلامِ

وَقَوْلِ آخر:

أظلـــــمَ الشّـــــامُ وقَـــــدْ وَلـــــيَ الحُكْـــــمَ شـــــموسُ
ليـــس فيهـــمْ مـــن يبـــتّ الـــ حكـــمَ علمـــاً أوْ يســـوسُ

ثالثاً: الثروة والكسب غير المشروع:

استغرق الحديثُ عن هذه الظاهرة أشعاراً كثيرة، من ذلك قصيدة أرسلها ابن

منير الطرابلسيّ إلى رئيس حلب عفيف الدّين بن المستوفي بعد أن اتّصل به أنّه نُفي وأنّ الحَشريّة[٥٠] دخلوا داره لحصر ماله، وقد صبّ ابن منير على أولئك الذين دخلوا داره جامَّ غضبه، ونقم عليهم نقمة شديدة، منكراً، وبأسلوب حادّ، أن تكون له ثروة، ذاكراً أسماء بعض رجال عصره الّذين تضخّمت ثرواتهم، فاضحاً الأساليب الّتي يتبعونها في جرّ الأموال إليهم، واختلاس أرزاق العباد؛ وممّا ورد في القصيدة[٥١]:

أينَ وجْه الكسب الّذي أنا فيه ... من وجوه التّجار والأعيانِ
اقتنوا ما اقتنيتُ بالشِّعر، في الشِّعـ ... ـر تذوقوا مرارة الحرمانِ
أتراني أكلتُ جَذْر عيالي ... مثل ما كان يفعل القيسراني
أم كنفتُ الفلوس في خالدِ ابني ... عام قادت عليه أمّ سِنانِ

أمْ دهاني قتلُ الشهيد وعندي ... حاصلٌ في معرة النعمانِ
أم تولّيتُ شِرْك ما كان يجنيـ ... ـه ابن ريدان من جذور القيانِ
أم أنا من جماعة نمّسوا بالدْ ... دين، حتّى احتسوا دماءَ الدّنانِ
كوّروها جُوالقاتٍ بِفِقْهٍ ... بان فيهِ رياؤهم، وقُرانِ

وتذمّر النعمان بن وادع المعرّيّ[٥٢] من استحواذ العمّال على أموال الناس وأملاكهم، وحرمانهم منها، وذلك إذ يقول[٥٣]:

يا أيُّها المُلّاكُ لا ترتجوا الـ ... أملاك وارجوها إلى القابلِ
فالعام قد صَحّت ولكنّها ... للعدلِ والمشرفِ والعاملِ

ويُعنّف أبو الحسين علي بن يحيى المعروف بابن السلّار الكاتب[٥٤]، مستخدَماً كان حريصاً على استصفاء أموال النّاس زوراً وبهتاناً، مُسْتَهْجِناً تعدّيه على حقوقِ الخلق، ومتوعّداً إيّاه بعذاب الله. يقول[٥٥]:

هـبْ قـد جمعـتَ أمـلاك الـورى وأخـــذتها بـــالزّور والبهتـــان
فظلمـــتَ فيهـــا واعتـــديتَ تجـــرّؤاً أفمـــا خشـــيت عقوبـــة الرّحمـــنِ

وحين يأسى فتيان الشّاغوريّ لموجات الغلاء الّتي توالت على بلاد الشّام، يلتفت إلى أولئك الّذين احتجنوا الأموال، وسكبوها في دورهم، بينما تعاني الرّعية من الجوع والضّنك. يقول[٥٦]:

هُـمْ أطلقـوا طَـرْف الغـلاء فجاءنـا عـن طِـرْف رخـصٍ بـالفلاةِ مقيّـدِ
مـا بـينَ جـدبٍ نحـنُ فيـه ورخصـهم إلاّ كغلـــــوة سهـــــمِ رامٍ جيّـــــدِ

وكان ابن عنين من أكثر الشعراء إلحاحاً على تصوير ظاهرة الكسب غير المشروع، فهو لا يفتأ ينتهز أيّة مناسبة ليبصّر النّاس بالّذين تمتدّ أيديهم إلى الأموال العامّة؛ فها هو ذا يغمز متولّي دار الزكاة في دمشق، ويثير الشّكوك حول المنزل الّذي بناه[٥٧]:

وســائق الصّـ_بيان أضــحى ابنــه يســرق مــن دار الزكــاة الــذّهبْ
لا تسألـــــــوه واسألـــــــوا داره فإنّهـــا تخبـــر عمّـــا نهـــبْ

ويبسط ابن عنين لسانه في ناظر الأيتام في دمشق، ويتّهمه في أمانته، ويصوّر – ساخراً– سرقته أموال اليتامى، حتّى تحقّق الأبيات أكبر قدر من التأثير الهجائي، فقد صاغها ابن عنين على شكل خبرٍ يستفتي فيه النّاس في أمر ناظر الأيتام الّذي قابله بالاستخفاف حين ذهب إليه يطلب منه الأمانة التي أودعها عنده. يقول[٥٨]:

يا معشر النّاسِ حالي بينكمْ عَجَبٌ ولـيسَ لـي بينكم يـا قـومُ أنصـارُ
هـذا ابـنُ كامـل قـد أودعتُـهُ ذَهبـاً صُـيّابةً مـا لهـا فـي العـينِ مقـدارُ

وجئتْ أطلبُها منهُ وقد عَرَضَتْ في السّوقِ منّي لباناتٌ وأوْطارُ
فقام ينفضُ كمّيه وينظر في صندوقه وينادي: جرّها الفارُ
فقلتُ: لا شبّ قَرْنُ الفارِ كمْ أكلوا مالَ اليتامى، وكمْ جرّوا وكم جاروا

وينتهز ابن عنين فرصة أمر الملك المعظّم عيسى بأن تُسَلسل أبواب الجامع الأمويّ بدمشق، فيلتمس تعليلاً آخر لذلك، ليطعن به في أمانة سدنة المسجد الّذي نهبوا أمواله. يقول[٥٩]:

لمّا رأى الجامعُ أموالَه مأكولةً ما بين نوّابهِ
جُنّ فمِن خوفِ عليه غدا مُسَلْسَلاً من كلّ أبوابهِ

ويقترب ابن عنين من الرّوح الشعبيّة اقتراباً شديداً في ألفاظه وأساليبه، حين يهجو صاحب خزانة الملك المعظّم عيسى، ويجرّده من كلّ فضيلة، ولا سيّما من الأمانة على أموال الخزانة[٦٠]:

يا مليك الدّنيا الّذي أعظم الله بتأييد عزّه سلطانَهْ
أنا أشكو إليك جَوْرَ رقيعٍ لقّبوه الصَّفعان تاج الخزانهْ
عدم العقل والمروءةَ والإحـ ـسانَ والدّين والحيا والأمانهْ

وحوى اللؤمَ والرّقاعة والخـ ـسّةَ والجهل والخنا والخيانهْ
زعموا أنّه حفيظ على الما لِ أمينٌ قلتُ: اسكتي يا فلانهْ

ونظم أبو شامة المقدسيّ قصيدة طويلة صوّر فيها فساد القائمين على أموال الوقف في دمشق لعصره، ووجد عليهم موجدة شديدة، لأنّهم كانوا يتصرّفون في هذه الأموال على غير هدى، وينفقونها حسب أهوائهم وميولهم، ويحرمون منها مستحقّيها من طلبة العلم؛ وممّا ورد فيها قوله[٦١]:

اتّخــذْ حرفــةً تعــيشُ بهــا يــا ... طالــبَ العلــمِ، إنّ للعلــم ذِكْــرا
لا تهنــه بالاتّكــال علــى الوقــ ... ـفِ فيمضــي الزّمــان ذلاّ وعسْــرا
إنّمــا تحصــلُ الوقــوفُ لشّريــ ... ـرِ ونــذلٍ مــن العلــوم مبــرّا
أو لمــنْ يلــزم الأكــابر لا يَبْــ ... ـرح فــي خدمــة ومَــدْحٍ وإطــر
والضــعيف المشــغول بالعلــم يلقــى ... مــن ولاةِ الوقــوف هَجْــراً وهُجْــرا

رابعاً – انهيار القِيَم:

اتّخذ هذا النّمط من النّقد مظهر الشّكوى من النّاس بصورة عامّة، فيبدو الشّاعر، انطلاقاً من تجربته الذّاتية، قلقاً متأزّماً، وقد سرت في نفسه نزعة من التشاؤم. ومع أنّ للحالة النفسيّة للشاعر دوراً كبيراً في هذا الضّرب من النّقد، غير أنّه نقد تعميميّ يصوّر اضطراب المعايير، وانقلاب الأحوال، وتهزّع الأخلاق، وفقدان الأخ والصديق، وشيوع النّفاق، وتفشّي الفساد وانعدام الأمل في الإصلاح.

وقد كثرت هذه الظاهرة في الشّعر الشّاميّ في عصر الحروب الصليبية على نحو يسترعي النّظر، حتّى بدا النّاس وكأنّهم يعيشون في محنة خلقيّة. وربّما كانت المحن والأزمات الّتي توالت على البلاد آنذاك هي الّتي شحذت هذا النزوع في نفوس الشّعراء. فقد ألّف ابن سنان الحلبيّ[٦٢] تصنيفاً سمّاه (سلوة الإنسان عن محبــة الإخــوان) ضــمّنه قطعــاً مــن أشــعاره، وقــد نقــل ابــن الشعّار الموصليّ طائفة منها تصوّر تضجّره، ونقمته على النّاس، وتطيّره منهم؛ من ذلك قوله[٦٣]:

بؤســاك يــا دهــر والنّعمــاء واجــدةٌ ... والنّفــع والضــرّ عنــدي فيــك سيّانِ
عادت صروف الليالي كلّ ذي ثقةٍ ... فمــا تُخالــلُ إلاّ كــلَّ خــوّانِ
كــمْ قَــدْ تأمّلــتُ أقوامــاً فخلــتهمُ ... ساداتِ قــومٍ ومــا هــم غيــر سيدانِ
باللــه أُقســمُ لــم تظفــر يــداي ولا ... إنســان عينــي فــي الدّنيــا بإنســانِ

وتحدّث أبو الفوارس المظفّر بن عمر[٦٤] بأسًى بالغٍ عن انثلام القيم في عصره، وكيف أثّر ذلك في نفوس النّاس، حتّى غدوا يعيشون تحت وطأة القلق والضّيق[٦٥]:

ودِدْتُ بأنّ الدّهر ينظر نظرة ... بعين جلا عنها الغَايةَ نورُها
إلى هذه الدنيا الّتي تخبّطت ... وجُذّيت فساسَ النّاسَ فيها حميرُها
فيُنكر ما لا يرتضيه مُحصِّلٌ ... ويأنف أن تُعزَى إليهِ أمورُها
فقد أبغضت فيها الجسومَ نفوسُها ... ملالاً، وضاقت بالقلوبِ صدورُها

وتأمّل الحافظ أبو محمد المقدسيّ[٦٦] أخلاق النّاس في عصره، وخرج من ذلك بقوله[٦٧]:

قلّ الحِفاظُ فذو العاهات محترم ... والشّبهُ ذو الرّأي يؤذي مع سلامتهِ
كالقوس يُحفظ عمداً وهو ذو عِوَجٍ ... ويُنْبَذُ السّهمُ قصداً لاستقامتهِ

ويبدو الدافع الذاتيّ إلى النقد في الأبيات التالية الّتي يرسم فيها الحكيم عبدالمنعم الجلينيّ[٦٨] السّبيل إلى الحظوة عند الحكّام في زمنه. يقول[٦٩]:

قالوا ترى نفراً عند الملوك سَمَوا ... وما لهم همّة تسمو ولا وَرَعُ
وأنتَ ذو همّةٍ في الفضلِ عاليةٍ ... فَلمْ ظَمئت وهم في الجاه قد كرعوا؟
فقلتُ: باعوا نفوساً واشتروا ثمناً ... وصُنتُ نفسي فلم أخضع كما خضعوا

قَدْ يُكرم القردُ إعجاباً بخسّتِهِ ... وقد يُهانُ لفرطِ النّخوةِ السَّبُعُ

وينتقد ابن الزّاهر الدمشقيّ[٧٠] ما يراه من سيادة الجهّال على النّاس، واكتسابهم للأموال، وإنفاقها على الفساد، وتدبيرهم للأمور على غير هدى وبصيرة.

يقول[٧١]:

عجبتُ لمعشرٍ في الناس سادوا فنالوا بالجهالة ما أرادوا
شروا باللؤمِ ذمّاً فاستفادوا ألوف المال لكن ما أفادوا
فما جادوا على حرّ ولكن على العوّادِ والقوّادِ جادوا

* * *

فيما تقدّم تمّت دراسة الظاهرة الشعريّة الّتي سايرت بعض مظاهر الفساد – أو ما رآه الشّعراء فساداً– في المجتمع الشّاميّ في عصر الحروب الصليبيّة، وكان مجال هذا الشّعر هو الهجاء – في الغالب– ممّا فرض عليه محدوديّة في التنويع، إذ اتّخذ معظمه أسلوب التّقريع والتنديد، غير أنّ بعض الشّعراء حاولوا أن يضفوا على نقدهم روح التندّر والسخرية معتمدين على التّصوير الهزليّ. وقلّما نجد في هذا الشّعر قصائد، وإنّما كان أغلبه مقطوعات قصيرة تتّسم بوحدة الفكرة، وقوّة العاطفة، والتّلقائيّة في التّعبير، وكأنما أراد الشّعراء من هذه المقطوعات أن تحقّق في أبيات قليلة ما يرجونه من سرعة التأثير.

ومع أن قسماً كبيراً من الأشعار السّابقة قد دُرس في سياقه التّاريخيّ، بيد أنّه لا بدّ من القول إنّه من عدم الدقّة الاعتماد على هذه الأشعار على أنّها وثائق تاريخيّة تصوّر بدقّة الواقع الذي يعيشه الشعراء، لأنّ الشّاعر لا يقدّم لنا الحقاق بموضوعيّة، وإنّما يقدّمها كما يراها هو بحسّه الفنيّ، "وسواء أقلنا بعد قراءة الشّعر أنّنا نوافق الكاتب في رأيه أم لا نوافقه، لأنّ الحياة في واقعها ليست كما يراها، فهذا ليس هو المهمّ، وإنما المهمّ أنّ قراءتنا لهذا الشّعر تجعلنا ننظر إلى الحياة من زوايا جديدة ... قد تكون أعمق وأنضج، حتّى لنحسّ، عندما نطوي آخر صفحة، أنّنا ازددنا معرفة بالحياة والإنسان"[٧٢]، ولعلّه استبان لنا شيء من ذلك في العرض السّابق.

التّوثيـق:

١- انظر ترجمة ابن منير في كتاب الخريدة – قسم الشّام ١: ٧٦، وترجمة فتيان بن عليّ في المصدر السّابق ١: ٢٤٧- ٢٥٩، وترجمة ابن عنين محمد بن نصر في وفيات الأعيان ٢: ٤٠٥- ٤٠٨، وترجمة ابن المسجّف العسقلانيّ عبدالرحمن بن أبي القاسم في فوات الوفيات ٢: ٢٨٢، وترجمة أبي جلنك أحمد بن أبي بكر الحلبيّ في المصدر السّابق ١: ٦٠، وترجمة عين بصل إبراهيم بن عليّ الحرّانيّ في المصدر نفسه ١: ٣٥.

٢- الكواكب الدّرية: ١٧٠.

٣- فوات الوفيات ١: ٤٢٧- ٤٢٨.

٤- الذّيل على الرّوضتين: ١٨١.

٥- هو عبدالله بن عليّ بن الحسين، الصاحب صفيّ الدين بن شكر، ولد سنة ٥٤٨هـ وتوفّي سنة ٦٢٢هـ. فوات الوفيات ٢: ١٩٣.

٦- فوات الوفيات ٢: ١٩٤.

٧- لم أهتد إلى ترجمته، وقد ذكر أبو شامة أنّه كان واعظاً له قبول عظيم. الرّوضتين ١/١: ٢٨.

٨- الرّوضتين ١/١: ٢٨.

٩- المصدر السّابق ١/١: ٢٩.

١٠- من رجال الدّولة النوريّة. الرّوضتين ٢/١: ٥٩٦.

١١- هو محمد بن سعد بن عبدالله الحنبليّ المقدسيّ، توفّي سنة ٦٥٠هـ. فوات الوفيات ٣: ٣٥٨.

١٢- فوات الوفيات ٣: ٣٥٨.

١٣- هو مهذّب الدّين يوسف بن أبي سعيد السّامريّ، طبيب مشهور، استوزره الملك الأمجد، وكثر منه العسف والفساد. عيون الأنباء: ٧٢١.

١٤- المصدر السّابق: ٧٢٢.

١٥- المصدر نفسه: ٧٢٢

١٦- هو عمّ صلاح الدّين، كان مقداماً مهيباً. وفيات الأعيان ٢: ٤٧٩.

١٧- لم أهتد إلى ترجمته.

١٨- هو يحيى بن النقّاش الحلبيّ، من شعراء الخريدة، وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان. الخريدة – قسم الشّام ٢: ٢٤٦، معجم البلدان (الرّحبة).

١٩- الخريدة – قسم الشّام ٢: ٢٤٦.

٢٠- المصدر السّابق ٢: ٢٤٦.

٢١- هو أبو حسّان نعمة بن حسّان المعرّيّ، كان حيّاً سنة ٥٧٢هـ. الخريدة – قسم الشّام ٢: ٢٣٣.

٢٢- الخريدة – قسم الشّام ٢: ٢٣٣.

٢٣- هو محمّد بن سوّار بن إسرائيل، ولد سنة ٦٠٣هـ، وتوفّي سنة ٦٧٧هـ. فوات الوفيات ٣: ٣٨٣.

٢٤- تالي كتاب وفيات الأعيان: ١٤٢.

٢٥- هو طراد بن عليّ عبدالعزيز، أبو فراس السلميّ الدمشقي المعروف بالبديع، توفي سنة ٥٢٤هـ. تهذيب ابن عساكر ٧: ٥١.

٢٦- فوات الوفيات ٢: ١٣٣.

٢٧- ديوان ابن عنين: ٢١٠.

٢٨- المصدر السّابق: ٩٤.

٢٩- نفسه: ٢٣٦.

٣٠- نفسه: ٩٤.

٣١- نفسه: ٢٣٩.

٣٢- نفسه: ١٣٢.

٣٣- هو محمّد بن عبدالله بن محمّد المعروف بأبي المجد المعرّي. توفي سنة ٥٢٣هـ. عيون التّواريخ ١٢: ٢٠٤.

٣٤- الخريدة – قسم الشّام ٢: ١٢.

٣٥- الخريدة – قسم الشّام ٢: ٩٨. والشّاعر هو أبو محمّد بن عبدالقاهر بن المهنّا، رآه العماد الأصفهانيّ سنة ٥٧١هـ. انظر: الخريدة – قسم الشّام ٢: ٩٨.

٣٦- هو القاضي الأعزّ أبو الفتح محمد بن عبدالله التميميّ، قاضي صور، توفّي سنة ٥٣٢هـ. تاريخ ابن القلانسيّ: ٤١٨.

٣٧- شعر ابن منير (ميكروفلم): ١٧٧.

٣٨- الذّيل على الرّوضتين: ٢٠١.

٣٩- الذّيل على الرّوضتين: ٢٠١.

٤٠- الذّيل على الرّوضتين: ٢٠١، ولم يذكر أبو شامة اسم الشّاعر.

٤١- الذّيل على الرّوضتين: ٢١٤.

٤٢- الذّيل على الرّوضتين: ١٤٨.

٤٣- فوات الوفيات ٢: ٣٥٢.

٤٤- الذّيل على الرّوضتين: ٢١٤.

٤٥- الذّيل على الرّوضتين: ٢١٤.

٤٦- لم أهتد إلى ترجمته.

٤٧- الذّيل على الرّوضتين: ٢١٥.

٤٨- الذّيل على الرّوضتين: ٢٣٦.

٤٩- الذّيل على الرّوضتين: ٢٣٦.

٥٠- الحَشْريّة: هم الّذين يباشرون تحصيل مال من يموت وليس له ولد. صبح الأعشى ٣: ٤٦٠.

٥١- جمهرة الإسلام (ميكروفلم) ١: ٨٢.

٥٢- هو أبو عديّ النعمان بن وادع المعرّيّ، توفي بعد ٥٥٠هـ. الخريدة – قسم الشّام ٢: ٤١.

٥٣- المصدر السّابق ٢: ٤٢.

٥٤- هو عليّ بن يحيى بن أحمد المعروف بابن السلّار الكاتب، ولد سنة ٥٥٢هـ. عقود الجمان لابن الشعّار (ميكروفلم) ٥: ٢٩.

٥٥- المصدر السّابق ٥: ٢٩.

٥٦- ديوان فتيان الشّاغورّي: ١٣١.

٥٧- ديوان ابن عنين: ٢٣٧.

٥٨- المصدر السّابق: ١٣٨.

٥٩- نفسه: ١٤٣.

٦٠- نفسه: ٢٢١.

٦١- الذّيل على الرّوضتين: ٢٢٢.

٦٢- هو عليّ بن سنان أبو الحسن الحلبيّ، المنعوت باللطيف السرّاج، كان رجلاً عاميّاً، توفّي في حدود سنة ٦٠٦هـ. عقود الجمان لابن الشعّار (ميكروفلم) ٥: ١٢١.

٦٣- عقود الجمان لابن الشعّار (ميكروفلم) ٥: ١٢٢، وللاستزادة انظر الصفحة نفسها والّتي بعدها.

٦٤- هو أبو الفوارس المظفّر بن عمر بن سلمان، من شعراء الخريدة. انظر: الخريدة – قسم الشّام ٢: ٤٥٩.

٦٥- المصدر السّابق ٢: ٤٥٩.

٦٦- هو الحافظ أبو محمّد عبدالخالق الدمشقيّ، مدرّس بالصّاريّة، توفي سنة ٥٦٤هـ. الخريدة – قسم الشّام ١: ٢٨٢.

٦٧- المصدر السّابق ١: ٢٨٣.

٦٨- هو حكيم الزّمان أبو الفضل عبدالمنعم بن عمر الغسّانيّ الأندلسيّ الجليانيّ، وفد إلى دمشق ومات فيها سنة ٦٠٢هـ. عيون الأنباء: ٦٣٠.

٦٩- المصدر السّابق: ٦٣٤.

٧٠- هو أبو الحسن عليّ بن عبدالصمد الرّازيّ الأصل، ثمّ الدمشقيّ، من رجال القرن السّادس. إنسان العيون في مشاهير سادس القرون (ميكروفلم): ٢٦٦.

٧١- عقود الجمان لابن الشعّار (ميكروفلم) ٥: ١٢٢.

٧٢- اللغة والأسلوب في شعر عرار، د. محمود السّمرة، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، العدد المزدوج ٥- ٦، أيّار- كانون الأوّل، ١٩٧٩، ص٧٠.

المصادر مرتّبة هجائياً حسب عنوان الكتاب:

أولاً– المصادر المخطوطة:

١– إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، مجهول، ميكروفلم رقم ١٤١٠ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.

٢– جمهرة الإسلام ذات النّشر والنّظام، مسلم بن محمود الشّيزريّ، ميكروفلم رقم ٩٢٢٣ أدب، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.

٣– شعر ابن منير الطرابلسيّ، مخطوط رقم ٢١٠، مكتبة أمبروزيانا، وعنه شريط مصوّر في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.

٤– عقود الجمان من شعراء هذا الزّمان، أبو البركات مبارك بن أبي الشعّار الموصليّ، ميكروفلم رقم ٣٣٩ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.

ثانياً– المصادر المطبوعة:

٥– تاريخ دمشق، ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن أسد، تحقيق د. سهيل زكّار، دار حسّان، دمشق، ١٩٨٣.

٦– تالي كتاب وفيات الأعيان، فضل الله بن أبي بكر الصقاعيّ، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٤.

٧– تراجم رجال القرنين السادس والسّابع المعروف بالذّيل على الرّوضتين، أبو شامة المقدسيّ، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.

٨– تهذيب تاريخ دمشق الكبير، الحافظ ابن عساكر، هذّبه عبدالقادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

٩– خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهانيّ، (قسم شعراء الشّام)،

تحقيق د. شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٥.

١٠- ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ط٢، ؟.

١١- ديوان فتيان الشّاغوري، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٦.

١٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العبّاس أحمد بن عليّ القلقشنديّ، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنّشر، القاهرة، ١٩٦٣.

١٣- عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.

١٤- عيون التّواريخ، محمد بن شاكر الكتبيّ، تحقيق د. فيصل السّامر ونبيلة عبدالمنعم، وزارة الإعلام العراقيّة، ١٩٧٧.

١٥- فوات الوفيات، محمّد بن شاكر الكتبيّ، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.

١٦- الكواكب الدرّيّة في السيرة النّوريّة، تقيّ الدّين أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، تحقيق د. محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١.

١٧- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحمويّ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

١٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلّكان، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

ثالثاً- الدّوريّات:

١٩- اللغة والأسلوب في شعر عرار، د. محمود السمرة، مجلّة مجمع اللغة

العربيّة الأردنيّ، العدد المزدوج ٥- ٦ (أيّار- كانون الأوّل)، ١٩٧٩.